

وانضمت إليها من كل قلبها وقالت للسيد بدورها : أيها الرب القدير! إنني أشكرك لأنك رقيتني هنا إلى شرف أم ابنك ولأنك غمرتني بنعمك وأنا بصحبته طوال ثلاث وثلاثين سنة. أريد أن اذهب لأحضر ذبيحة حياته. وكم كنت أود أن أتحمل بمفردي جميع الآلام التي تنتظره. وبعد هذه الصلاة كان لها مع يسوع أحاديث امتزجت فيها الأوجاع والعذابات مع تهادتها الحنونة لأنها لم تكن لتستطيع أن تحببه الآلام ولا تموت معه.

وبهذه الاستعدادات خرج ملك وملكة الكون من الناصرة ليذهبا إلى أورشليم مجتازين الجليل. فصنع مخلص العالم المعجزات الأكثر سطوعاً من سابقاتها في اليهودية التي كان يجتازها. ولم تفارقه أمه الكلية القداسة إلا نادراً لكي تقوم ببعض الأعمال الخاصة.

ولكن في هذا الوقت كان القديس يوحنا يبقى معها ويتعمق بالأسرار الكبرى المخبأة في قلبها. وفي هذه الأيام الأخيرة وعلى مثال ربنا نشرت الأعمال الصالحة على الناس : ارتداد الخطيئة ، شفاء المرضى ، مساعدة الفقراء والحزاني ، ولكن بما أنها كانت تلتهب حبا خالصا لأبنها كانت تشعر بألم كبير أثناء غيابه ورغبة حارة في رؤيته حتى إنها كانت تغيب عن الوعي عندما كان يتأخر عن العودة إليها أكثر من المعتاد. ومن جهته كان يسوع المسيح الذي يسرُّ بعواطف أمه ، لا يستطيع أن يظل طويلا بعيدا عنها.

وكان يجد فضلاً عن ذلك في سمو جمال نفسها السامية النقاوة تخفيفاً ثميناً لأوجاعه الحسية.

الملائكة. إن محبة يسوع لأمه كانت فوق أن تحرمها من هذا المشهد الذي كانت أهلاً له ليس فقط بسبب امتيازها الذي لا مثيل له ولكن أيضاً من أجل الحصة التي كانت يجب أن تأخذها من الآلام الخلاصية. وبما أنها كانت تفوق شرفاً واستحقاقات شاهدي التجلي الآخرين فقد سبقتهما مشاهدة هذه الرؤيا العجيبة لأنها شاهدت ليس فقط إنسانية يسوع المسيح المتجلية ولكن أيضاً ألوهيته طيلة الوقت الذي دامت فيه هذه الأعجوبة. ولم تكن مشاعرها آنذاك الاضطراب والخوف كما كانت مشاعر الرسل ولكنها كانت الهدوء والإعجاب الرقيق.

وزيادة على ذلك فقد شاهدت عدة مرات جسد ابنها الإلهي يعكس اشراقات نفسه. أما المفاعيل التي أحدثتها هذه الرؤيا فقد كانت أيضاً أكبر بكثير. فخرجت منها مضطربة ومؤهلة. واحتفظت من جرائها بصورة حية، لم تفارقها طيلة أيامها على هذه الأرض.

وبعد هذا التجلي المشجع أعيدت إلى منزلها في الناصرة حيث لحق بها يسوع للحال ولكن لبعض الوقت فقط لأن الفصح كان قد اقترب . وقبل أن يترك لآخر مرة المنزل المكرم ، شكر الله على الكائن البشري الذي أعطاه إياه وقدمه له من أجل الخلاص البشري. سأذهب! قال له ، سأذهب بفرح لأرضي عدلك وأصالحك مع بني البشر. سأرفع راية الصليب التي يجب أن يجاهد تحت ظلها أصدقاء الفضيلة.

ورأت العذراء الكلية القداسة في نفس ابنها كما في مرآة جميع هذه العواطف،

